المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

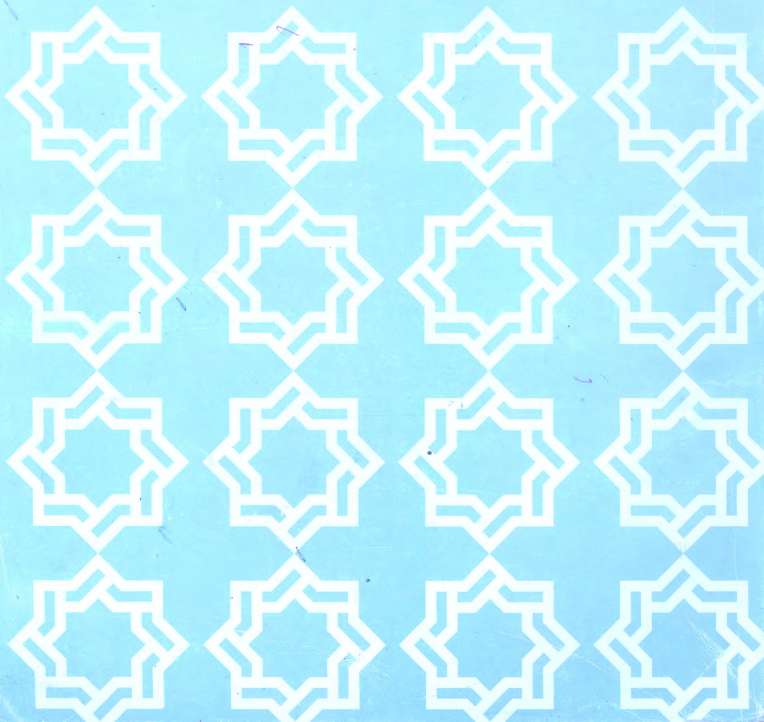

تاريخ الخزرجي وتاريخ القضاعي

مصطفى جواد

١ ـ تاريخ الخزرجي

قرأت المقالة الممتعة البارعة ذات العنوان « العسجد المسبوك والجوهر المحبوك » في الجزء السابع من الاقلام « ص ١٢٢ـ١٣٣ » وهي مقالة تدل على براعة كاتبها الاستاذ بدري محمد فهد ، وقد درس فيها القسم المصور المحفوظ في خزانة كتب المجمع العراقي من كتاب « العسجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام والملوك » المنسوب الى علي بن الحسن الخزرجي اليمني المتوفي سنة ٨١٢هـ ، وقد سماه كاتب المقالة الفاضل بالاسم المقدم ذكره آنفا وقال : « ولكننا بعد قراءتنا للكتاب وجدنا فيه ذكرا لمؤلف آخر تردد كثيرا في تضاعيف الكتاب موردا الاخبار أو معلقا او ناقدا مما يدل على ان هذا الكتاب ليس للخزرجي ، ثم ذهبنا الى المصادر نستوضحها الامر فلم نعثر للخزرجي على اسم كتاب بهذا العنوان او قريب منه ،، وقال في الحاشية : « جاء في ترجمته ان له ثلاثة كتب في تاريخ اليمن احدها جعله على السنين والاخر سماه طراز اعلام اليمن في طبقات أعلام اليمن وسماه ايضا العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن ، وثالث جعله على ترتيب الدول ، انظر السخاوي: الضوء اللامع ٥ : ٣١٠ » . وقال بعد ذلك : « ولدى البحث عن اسم المؤلف الوارد في الكتاب وهو الاشرف ابو العباس اسماعيل بن العباس الرسولي الغساني التركماني الاصل اليمني تبين لنا انه كان احد ملوك اليمن » . وذكر ان مولده سنة ٧٦١ وولايته الملك سنة ٧٧٨ وتوفي سنة ٨٠٣ .

ومن المعلوم ان عدم الموجود لا يدل على العدم المطلق ، فالتسميتان قد اختلفتا ، فالكتاب الخطي هو : العسجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام والملوك » والتسمية التي جاء بها الكاتب الفاضل هي «العسجد المسبوك والجوهر المحبوك» ولم تكتب في هذا الكتاب الخطي ، فيجوز ان تكون لكتاب آخر مشابه في الموضوع لهذا الكتاب ، وقد جاء في سيرة الملك الاشرف المذكور آنفا انه « ألف كتبا كانت طريقته فيها ان يختار الموضوع ويجمع مادته او بعضها ثم يأمر من يتمه ويعرضه عليه فما أرتضاه أثبته وما أباه حذفه وما وجده ناقصا أكمله »[1] . فمن الجائز أنه كلف أبا الحسن الخزرجي تأليف هذا الكتاب ، فألفه وأحضره له ، أو ألف هو بعض مادته وأمر الخزرجي باتمامه ، فأعمل فيه اختياره ، وأثبت فيه اسمه في عدة مواضع ، وبعد موته غير الخزرجي فيه بعض التغيير ونسبه الى نفسه وابقى مواضع

(١) الاعلام لخير الدين الزركلي ١ : ٣١٣ .

كلامه على حالها اكراما لذكراه ، ولكنه بدل الشطر الثاني من التسمية فسماه « العسجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام والملوك » أو « تاريخ الاسلام وطبقات الخلفاء والملوك » .
قال ابن تغري بردي في ترجمة الامير « طيبرس[٢] بن عبدالله علاءالدين الظاهري التركي البغدادي المعروف بالدويدار الكبير : « طيبرس بن عبدالله الامير الكبير علاء الدين الظاهري البغدادي التركي اشتراه الخليفة الظاهر بامر الله فحظي عنده وجعله داواداره ، ولما آلت الخلافة للمستنصر بالله قدمه ايضا وادناه ورفع قدره فشاع ذكره ، قال الخزرجي في تاريخه المسمى (بالعسجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام وطبقات الخلفاء والملوك) : وزوجه لؤلؤ صاحب الموصل ابنته ، وكان العقد في دار الوزارة بحضور قاضي القضاة على صداق مبلغه عشرون الف دينار ووهب له المستنصر بالله ليلة زفافه مائة الف دينار ثم الحقه باكابر الزعماء وارباب العمائم واقطعه قوسان فكانت تغل في كل سنة مائتي الف دينار ، وكان جوادا كريما خلع على كل مماليكه في سنة ست وعشرين وستمائة سبعمائة خلعة ، وكان وهابا للخيل . قال ابن الخازن : حدثني ابن الاشقر كاتب ديوانه ـ وكان ثقة ـ انه جمع (كذا) ما وهب من الخيل منذ انعم عليه بالامارة وذلك في سنة خمس وعشرين الى حين وفاته فبلغ سبعة آلاف وخمسمائة ونيفا وسبعين فرسا . انتهى كلام الخزرجي[٣] ...» .

ففي هذا الخبر تصريح من مؤرخ مشهور من اهل القرن التاسع للهجرة بان لأبي الحسن الخزرجي تاريخا مسمى تلك التسمية المذكورة آنفا ، وفيه نقل منه جد مبين ، ونجي الى العسجد المسبوك في مخطوطة المجمع المصورة فنقرأ فيها في وفيات سنة (٦٥٠) ما هذا نصه « وفيها مات الامير علاء الدين الطبرس الظاهري ، وكان جميل الصورة كامل المحاسن اشتراه الظاهر بأمر الله فحظي عنده وجعله دويداره ولما أفضت الخلافة الى المستنصر بالله قدمه[٤] وادناه ، وقدمه على من سواه فارتفع قدره وشاع ذكره وزوجه بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل ابنته وكان العقد في دار الوزير بحضور قاضي القضاة على صداق مبلغه عشرون الف دينار ، ووهب له المستنصر بالله ليلة زفافه مائة الف دينار ثم الحقه باكابر الزعماء وارباب العمائم والمشاد واقطعه قوسان وكانت تغل له في كل سنة مائتي الف دينار ، وكان كريما جوادا ، خلع على مماليكه وخدمه في عيد رمضان من سنة ست وعشرين الفا وسبعمائة خلعة وكان وهابا للخيل قال ابن الخازن : حدثني ابن الاشقر كاتب ديوانه ـ وكان ثقة ـ انه جمع عدة ما وهب من الخيل منذ انعم عليه بالامارة وذلك في سنة خمس وعشرين الى سنة وفاته فبلغ[٥] تسعة آلاف وخمسمائة ونيفا وسبعين فرساً »[٦] .

فنصا الخبر متطابقان الا في الاندر من تصحيف كلمة او سقوطها في النسخ او حذفها او زيدها ، وهذا الذي حداني على قولي ما قلت من وجود كتاب في هذا الموضوع حقيقة لابي الحسن الخزرجي وبهذه التسمية التي في الخطي .

---

(٢) الصحيح « الطبرس » بهمزة ولام اصليين ، وقد ترجمه ابن تغري بردي بذلك الاسم ونسي فترجمه بالاسم الثاني .

(٣) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، ٢٠٧١ الورقة٧» .

(٤) لعل الاصل (قربه) .

(٥) مرّ في النقل من المنهل « سبعة » وهذان العددان يتصحفان دائما متبادلين .

(٦) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي المصورة ، الورقة ١٨٠ ، ١٨١ » .

٢ ـ تاريخ القضاعي

وفي كلام الكاتب الفاضل على مراجع كتاب « العسجد المسبوك » ورد ان منها كتاب «الذخيرة في مناقب العترة الطاهرة » للقضاعي ، قال : « القضاعي محمد بن ادريس (٧٣٠ هـ) والارجح انه اخذ من كتابه (الذخيرة في مناقب العترة الطاهرة) لان للقضاعي جملة كتب في الفقه والتفسير وليس فيها كتاب في التاريخ غير هذا الكتاب او كان اخذه منه يتعلق بأسم ام الخليفة القادر بالله ..» .

والذي علمناه وحفظناه ان القضاعي هو « ابو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضي الشافعي المتوفي سنة ٤٥٤ لا محمد بن ادريس المتوفي سنة (٧٣٠ هـ) الذي اسمه كأسم الامام الشافعي (رضي) وسنة وفاته مستغربة فأنا أجهل محمد بن ادريس المتوفي سنة٧٣٠ جهلا تاما، ولعل الكاتب الفاضل يفيدنا من سيرته شيئاً، ثم ان العترة الطاهرة اريد بها العترة العلوية الفاطمية ، ولم اجد من سمى العباسيين بالعترة الطاهرة ، فضلا عن امهاتهم كأم الخليفة القادر بالله ، غير ان عدم الموجود لا يدل على العدم المطلق كما ذكرت قبلا.

اما ان الكاتب الفاضل لم يجد للقضاعي من كتب التاريخ غير هذا الكتاب فغريب ايضا ، وأمره بالضد مما قال ، فله من كتب التاريخ«الانباء بانباء الانبياء وتواريخ الخلفاء ، ذكره جرجي زيدان وقال : « فيه تاريخ العالم من الخليقة الى سنة ٤١٧ منه نسخة في برلين واكسفورد » وذكر له كتاب عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف يشتمل على تاريخ البطاركة والانبياء وبني امية والعباسيين والفاطميين وله ذيل الى سنة ٩٢٦ وكلاهما في باريس ، وكتاب نزهة الالباب جامع التواريخ وهو ذيل للتاريخ في المتحفة البريطانية[٧]. ولم اجد له كتابا تاريخيا باسم الذخيرة ولا كتابا في الفقه ولا آخر في التفسير .

وقد احال الكاتب الفاضل بما ذكر من تأليف القضاعي على معجم المؤلفين ٩ : ٣٤ لكحالة ، وانا لم اطلع على هذا الكتاب ولا استطيع الاطلاع عليه لدائي العياء الذي اعضل الاطباء ، فليعد الكاتب النظر في المعجم المذكور فان تأكدت عنده صحة نقله منه فمؤلف المعجم واهم لا محالة.ولولا كون الكاتب الفاضل من اهل التحقيق الذين يعتمد عليهم وتقرأ تحقيقاتهم ما ذكرت له هذه الالحوظة اليسيرة ولانشدت :

خل سبيل من وهى سقاؤه
ومن اريق في الفلاة ماؤه

---

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية « جـ ٢ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ طبعة مطبعة الهلال سنة ١٩١١ » .